كومة مشاكل في(ابو الخصيب)!

ألف بقعة مغروسة بغابات النخيل في العالم تهددها حشرة)الميّة(

البصرة / قاسم علوان

الطريق الى قضاء أبي الخصيب من منافذه الثلاثة سواء كان من البطيحة أو من الجسر المقابل لنصب السندباد أو من طريق مناوي باشا ملتو يتثنى أمام سالكه مثل أفعى، أو كما أسماه القاص البصري محمد خضير(طريق الحكايات)ربما لأن في كل ثنية منه حكاية، ولكن ليس كأي حكاية ! بل كل حكاية فيه استثنائية وحدها.

لكن أبو الخصيب في الوقت الحاضر غدا حكاية عادية جدا، مثله مثل حال أي مدينة عراقية أخرى، فما بالك وهو في أقاصي الجنوب من تفكير سلطة مستبدة كان عمرها ٣٥ عاما لم تفكر إلا بديمومة سلطتها فقط!! إضافة الى ما تحمله ذلك القضاء ونخيله من وزر للحرب الطاحنة مع إيران، وكيف أثقلت كاهل تلك الغابات حرب الثماني سنوات بمدفعيتها الثقيلة جدا!! فهاهي باسقات النخيل تذوي وتذبح علنا وبقرارات (رئاسية) إضافة الى ما حرقته تلك المدفعية. ثم ما سيأتي على ما تبقى منها تهريب نفط العراق العشوائي وبطرق بدائية من على تلك الضفاف الوارفات!!

في الأيام الخوالي كان ذلك الطريق الملتوي الموازي لشط العرب مظللا بأشجار النخيل الباسقة، تحف به شجيرات ورود الفل والدفلة والرازقي، بحيث انتشرت آنذاك معامل صناعة ماء الورد في تلك المنطقة بكثافة، التي اختفت في الوقت الحاضر تقريبا جميعها الأزهار والمعامل، والآن كفت تلك الظلال والورود عن مصاحبة الركب المستمر للقادمين والمغادرين لتستبدل بها أنواع الأشواك والإهمال، ولتحف به جدران اسمنتية أحيانا وأخرى أسيجة من السعف أو القصب وثالثة من الأسلاك المعدنية أو الشائكة لتحافظ على تلك البساتين من عبث العابثين، أو ليتسع الشارع أيضا وتبتعد عنه سعفات النخيل تلك التي كانت تطل عليه.

من يرغب بتناول حلاوة نهر خوز؟

إذا أردت الوصول الى مركز القضاء تقطع عليك ذلك الطريق ولمرات عديدة الجسور الخشبية أو الحديدية منها على تلك الأنهار وبمسمياتها الغريبة أحيانا (عويسيان مثلا أو أموسيان) التي نطل أحيانا على بداياتها الواسعة التي تأخذها من شط العرب نزولا لتتفرق الى ترع وجداول صغيرة بين البساتين والبيوت، ابتداءا بنهر الخورة الذي يقع على مشارف المركز، وصولا الى نهر أبو الخصيب نفسه. كل تلك المسافة التي تبلغ ٥٠كم مأهولة تماما بالبيوت المتواضعة والمحال المتناثرة وسط بساتين النخيل وأشجار الفاكهة الأخرى التي تجاور قصورا فارهة أحيانا تطل على الطريق أيضا ليسوريّ الحال من سكان المنطقة أو من الأغراب ممن اشتروا بساتين أو بيوتا هناك لقضاء أوقات ممتعة.

كما تتفرع من ذلك الطريق طرق فرعية أخرى تتلوى وتتثنى بين البساتين والمحال السكنية، تكون أحيانا معبدة لتندس بين تلك الكثافات المأهولة أيضا كما الأنهار، وكذلك قصبات بعض القرى الصغيرة ودكاكينها المتجاورة البسيطة أو تلك التي تعلن عن وجود (حلاوة نهر خوز) الشهيرة لديها. سابقا كان الأمر محدودا بعائلة واحدة فقط في قرية(نهر خوز)تحديدا التي تطل على ذلك الطريق أيضا، ثم امتدت شهرتها الى أغلب أنحاء العراق، لكن الحال اختلفت الآن بعد تسرب سرّ المهنة الى الآخرين وانتشارها لدى باعة كثيرين، وكذلك اختلفت الجودة.

مرزوق أبو الخصيب

أصل تسمية (أبو الخصيب)، كما أفادنا بذلك الشاعر طالب عبد العزيز، نسبة الى الوالي مرزوق أبو الخصيب الذي ولاه أبو جعفر المنصور على البصرة عام ١٣٦هجري، فأمر بشق ذلك النهر ليسقي امتداد تلك البساتين الكثيفة او لاحياء واستصلاح أراض زراعية جديدة بعيدة عن النهر الكبير فأخذ أسمه. ومن حكايات التواءات ذلك الطريق أيضا بقايا مدينة (المختارة) التي كانت عاصمة علي بن محمد صاحب الزنج وقائد ثورتهم الشهيرة تلك، والتي تقع الآن في ضواحي مدينة (أبو الخصيب). وإذ الشيء بالشيء يذكر فقد أخذت محلة(الموفقية)في البصرة اسمها من اسم القائد العباسي (الموفق بالله) الذي قاد الحملة العسكرية لقمع تلك الثورة عندما أقام معسكره في تلك المحلة!!

تقع مدينة (أبو الخصيب) على ضفتي ذلك النهر الذي تحمل اسمه، لم يظهر فيها الآن ما يميزها عن أي مدينة عراقية أخرى مثلما كان سابقا، غير أشجار النخيل التي تحيط بها والتي تطل أيضا من المسافات الضيقة التي تجترحها الترع والجداول الصغيرة هنا وهناك من مفاصل المدينة، فهي تزدحم أيضا بالسيارات الحديثة (المنفيست) التي ضاقت بها شوارعها الضيقة أصلا، وكذلك البضاعة المختلفة التي دخلت مؤخرا. ولنتعرف على بعض تلك (الحكايات) الجديدة ولكن الموغلة في الواقع القاسي المعاصر!!

فقر الخدمات الحالية.. واتهامات صريحة بالفساد الإداري!

فضلنا زيارة المجلس البلدي قبل زيارة أية جهة أخرى في المدينة للاطلاع على حالها فأهل مكة أدرى بشعابها كما يقولون، زاد احتدام الموقف في المجلس حيث عرف الجميع أن الصحافة تزورهم، رئيس المجلس البلدي أعلن فورا وبدون أية مقدمات: أن معاناة مدينتنا ليس مثلها معاناة في جميع مدن العراق الأخرى ! أجبته: عفوا الجميع في أنحاء العراق ومدنه الكثيرة المختلفة والواسعة الآن يقولون بتفرد معاناتهم. فقال: ان معاناتنا تختلف فعلا في هذا القضاء، فهي معاناة مختلفة ومركبة فإضافة الى مشكلة التيار الكهربائي وانقطاعاته المتكررة، هناك أجزاء من القضاء لا تصلها الكهرباء مطلقا برغم وجود الشبكة فيها، وكذلك مشكلة المياه في شبكة الإسالة ففي مركز القضاء لا تصل المياه الصالحة للشرب لا أي نوع آخر منها، لم تصل الى أحياء كثيرة من المركز ليس في هذه الأيام فقط بل منذ شهور، ولا يفوتنا أن نذكر ان المياه وحتى أن توفرت في شبكة الإسالة فهي لا تصلح للشرب . صحيح جرى أصلاح بعض المحطات الثانوية في المركز مثل محطة حمدان من قبل بعض المنظمات الإنسانية ولكنها بالكاد تسد حاجة تلك المنطقة (والكلام لازال لرئيس المجلس) لكن محطة اللباني التي تغذي مركز القضاء من دون إصلاح، معداتها قديمة جدا، وبرغم ذلك كان يضخ لهذه المحطة ماء عذب من مشروع ماء البصرة (وفاء القائد سابقا!!) ولكنه قطع في الوقت الحاضر. مشروع (باب طويل) أنجز بتمويل من منظمة (إنقاذ الطفولة) ولم يستلم الى هذه اللحظة، الجهة المنفذة تقول انه جاهز، ونحن نقول طيب أين الماء؟ وبالتالي أحيلت القضية للقضاء وأمر القاضي بتوقيف ممثل المنظمة والمقاول ومدير ماء (أبو الخصيب)!!

قلت والأعمار ألم يصلكم الى هذه الفترة ؟ أجابني أحد أعضاء المجلس: ان مشكلتنا المركبة في هذا القضاء هي الفساد الإداري غير المعلن والمحسوس جدا لدينا، وإلا ما معنى ١٢٠،٠٠٠ دولار تخصص لأعمار مدرسة واحدة فقط تحتاج الى صبغ الجدران وكهربائيات وزجاج للنوافذ فقط ؟ ليسقط الصبغ بعد أيام وتظهر شعارات الحزب البائد مثلما هي سابقا. يضيف الشيخ عبد الوهاب مال الله عضو المجلس : تمنح المقاولات هنا بشكل مريب أو عشوائي ولم تراع في ذلك أي شروط معروفة في المقاولين مثل هوية التصنيف أو عضوية غرفة التجارة، لكن في (أبو الخصيب) تمنح المقاولات لمن يدفع أكثر، مثلا حلاق معروف في المدينة أصبح مقاولا كبيرا!! يضيف احد أعضاء المجلس من الحاضرين: ما معنى أيضا منح مقاولة تجهيز ١٥٠ مصباح إضاءة للشارع الرئيس في المدينة بـ ١٢،٠٠٠ دولار ؟

أحد أعضاء المجلس يقول: المفروض أن يكون ماء شط العرب عذبا في الوقت الحاضر وأن يصل إلى الشبكة المحلية بسهولة خاصة بتوفر محطات الضخ والتحلية نسبيا في بعض المناطق، وخاصة بعدما ارتفع منسوب المياه في الشط. أسأله: ولماذا لا يتوفر ذلك ؟ يقول: بسبب تهريب النفط المستمر وتلوث مياه الشط بالتسرب المستمر للنفط العراقي بكل أنواعه.

لذلك تنتظر تلك المحطات العديدة الموجودة في القضاء ضخ مياه من المحطة الرئيسة في البصرة التي قطعتها عنا منذ زمن ليس قصيراً.

اغتيال سكرتير المجلس البلدي!

أحد الحاضرين قدم نفسه بأنه عضو اللجنة الأمنية في المجلس السيد عبد الباري علي، وهو من حزب الدعوة سألته: ما دوركم كلجنة أمنية في منع عمليات تهريب النفط العراقي في الوقت الحاضر ؟ فقال: (أبو الخصيب) قضاء حدودي وبحري يحتاج الى قوات كبيرة لتسيطر على عمليات التهريب الواسعة، لك أن تتصوّر بأن لدينا في القضاء ٣٤ مرسى غير شرعي فقط! وبلافتات مضللة، إصلاح الزوارق مثلا أو صيد الأسماك.. جميعها تعمل ليس على تهريب النفط فقط، بل على كل المسروقات الأخرى مثل أعمدة الكهرباء والفافون والنحاس، وتهريبها الى إيران.

تصرف مبالغ كثيرة على الحراسات أين هي تلك الحراسات ؟ ألم تقع أعينهم على تلك المراسي وما يجري فيها؟.

يصّر الأخ عبد الباري على إن عودة البعثيين الى مراكز السلطة في (أبو الخصيب) جاءت قبل قرار السفير برايمر الأخير، فهم يشغلون جل المراكز الإدارية في القضاء سألته : هل لك أن تحدد ذلك بالأسماء ؟ أجابني : هل لك أن تسأل الشهيد زكي الخطيب سكرتير المجلس البلدي السابق عندما أطلق عليه النار مجهولون بباب المجلس البلدي هذا عندما تحدث عن هذا الموضوع قبل اغتياله بأيام ؟ وللعلم فإن تحقيقا لم يجر في هذا الحادث ولم يسأل أحد عنه، لا من المحافظة ولا من الشرطة ولا من المجلس الاستشاري فيها، لم يسأل احد عن ذلك الحادث أصلا.

حشرة الحميرة و (المستوطنون) الجدد

سألنا محدثنا عبد الباري علي: هل شملت قضاء (أبي الخصيب) حملة استزراع أمهات النخيل التي أعلنت عنها وزارة الزراعة، لاسيما أن النخيل لديكم قد تضرر أكثر من بقية المناطق الأخرى ؟ أجاب : نحن سمعنا بهذه الحملة فقط ولم تصل لنا، كما كانت وحدات مكافحة الآفات الزراعية في وزارة الزراعة تكافح حشرة (الحميرة) التي تصيب النخيل قبل موسم جني التمر، وهذه السنة لم تكافح هذه الحشرة في مناطقنا أبدا كما كان يحدث في السنوات الماضية، وبالتالي كل النخيل مضروب هذه السنة!! وبمناسبة هذا الموضوع لدينا مشكلة عويصة وهي أنه أثناء الحرب العراقية الإيرانية تعرضت أجزاء كبيرة من بساتين بعض المواطنين من سكنة المناطق الحدودية الجنوبية المقابلة الى إيران الى الخراب التام وذلك في ناحية السيبة وناحية البحار، لقد جرّفت المنطقة بعد أن أصبحت منطقة عمليات عسكرية وقد تغيرت معالمها كثيرا طوال كل تلك السنين الماضية. بعد الحرب كان يستحيل على أصحابها استصلاحها وإعادة أعمارها بعد أن صعب عليهم حتى التعرف عليها بعد ذلك الزلزال، ولكنهم فوجئوا قبل فترة بـ (مستوطنين) جدد وضعوا أيديهم عليها ليس لاستصلاحها ولكن للإقامة فيها، وهؤلاء من سكان الأهوار الذين جففت أهوارهم ووجدوا ملاذا لهم بجوار مياه لا تجف، وهم يرفضون مغادرتها في الوقت الحاضر برغم وجود أصحابها الشرعيين وبوثائقهم ومستمسكاتهم الأصولية. كما أن أولئك (المستوطنين) الجدد مسلحون جيدا كالعادة في هذا الوقت. قلت لمحدثي: نترك ذلك لدولة القانون القادمة، ولكن لديّ سؤال أخير فيما يخص حملة كريّ الأنهار مؤخرا هل انتفعتم بها ؟ أجابني : في البداية نعم لكن الحملة توقفت في الوقت الحاضر.

نقص في جميع أنواع الأدوية!!

تركت المجلس البلدي متوجها الى مركز الرعاية الصحية الأولية في القضاء، التقيت مدير المركز د. محمد عبيد السؤال الأول كان عن توفر الأدوية في المركز ؟ أجابني: أن هذه الظاهرة عامة ولا تقتصر علينا فقط، وهذه المشكلة ترتبط بمذكرة التفاهم السابقة التي كنا نجهز بالأدوية في ضوئها، أما في الوقت الحاضر فنعتمد على أدوية المساعدات القادمة من الخارج وأغلبها غير صالحة أو أن مفعولها قد انتهى، الناس تبحث عن منتجات أدوية شركة سامراء فهي جيدة. قلت له: من أين أتت كميات الأدوية التي تباع على الرصيف؟ أجاب : هؤلاء يشترونها من المذاخر الأهلية، ليس هناك كميات من الأدوية في المراكز الصحية أو المستشفيات مؤهلة لأن تسرق!! سألنا : ما الأدوية التي تعانون نقصا فيها ؟ أجاب : النقص في جميع أنواع الأدوية: الهرمونات، المضادات، المسكنات، فقط لقاحات الأطفال متوفرة بشكل جيد. وعن التمويل الذاتي ؟ قال: ألغي العمل بذلك النظام والآن نستوفي أجورا رمزية للكشف والعلاج نسلمها أسبوعيا الى رئاسة الصحة بالمحافظة بإيصالات موثقة.

طريق الحكايات

قلنا في البداية أن لكل ثنية وانحناءة في طريق (أبو الخصيب) حكاية فهو(طريق الحكايات)نعود الى ما بعد بداية الطريق تقريبا، وتحديدا إلى (مسجد السراجي) وهو من المساجد القديمة جدا، فكما يقال أنه بنيّ عام ٦٧٥ هجرية على هذا الطريق العتيق أيضا، في (بصرياثا) القاص البصري محمد خضير يشير الى مسجد آخر أبعد قليلا من هذا المسجد، لتستيقظ فيه شخوص حكايته المفترضة من(طريق الحكايات)هذا، ولكننا نرى أن المسجد المقصود في الحكاية هو مسجد (السراجي) بعينه، لقدمه في تلك المنطقة، وما ذلك التفصيل الصغير إلا لدفع خيال القارئ الى منطقة أبعد على طريق الوهم، ولم يكن سوى بدافع التمويه وإضفاء الغرابة على ذلك المشهد المتخيل ليس إلا.

أما تسمية ذلك المسجد فكما يقول شاعرنا طالب عبد العزيز إن هناك ثلاث روايات في هذا الموضوع، الأولى تنسبه الى سرّاج كان يصنع سروج الخيل في هذه المنطقة، والثانية بأن هناك شيخين صالحين تعاقبا على مسجد القرية وسميا بسراجي المسجد، الثالثة وهي التي تنسبه إلى (أبي زيد السروجي) بطل (المقامات) للحريري، الكاتب البصري والتي لا تزال بقايا أطلال قصره قائمة الى هذه اللحظة في أهوار شمال البصرة في قرية أسمها (حرير)، هذا على افتراض أن تلك الشخصية واقعية.

كما أن هناك على ذلك الطريق ضريحا عليه قبة متواضعة تقدسه العامة يقال له (أبو الجوزي) حيث أخذت القرية أسمها منه، سمعنا سابقا أنه يعود الى الفقيه الأمام أبن الجوزي ولكن طالب عبد العزيز؟ يرى انه يعود لرجل صالح اسمه محمد أبو الجوزي، كما تقع قربه قبة أخرى على ضريح آخر يعود أما الى زوجته أو الى سليلته، وحوالي الضريحين مقبرة يدفن فيهما أهل القرى المجاورة موتاهم. بالتأكيد لم تكن تلك كل الحكايات!!

في (براي)

موسوعة غينس العراقية !

حسين التميمي

لعل الكثير من المتفائلين يتحرقون شوقا لرؤية الإعمار الهائل والتطور التكنولوجي المهول الذي سيحدث يوما ما في بلدنا العراق، أما أنا فأتحرق شوقا لقدوم فريق من القائمين على موسوعة غينيس للأرقام القياسية وأكاد منذ الآن أتخيلهم كفريق عمل جبار ينتشر من الشمال إلى الجنوب ليغطي ما فاته منذ أعوام كثيرة وفي جميع مجالات الحياة ، فهنا توجد أرض خصبة لإنتاج الأرقام القياسية وبطريقة تعد هي الأخرى قياسية كونها لا تحتاج إلى دراسة أو تخطيط أو حتى مثابرة (تخيل)...

وإذا ما شئنا أن نخفف بعضا من الجهد على أولئك الغينيسيين فبإمكان أي مواطن عراقي أن يعمل كمستشار للفريق أو كخبير (فطحل) حتى وإن كان هذا الخبير من حملة شهادة التلقيح ضد الجدري ! فالأمر لا يحتاج إلى أكثر من ذاكرة عراقية صميمة لاستدراج كم هائل من الأرقام ، ولكي لا نشعر بالحرج عند قدوم أولئك الغينيسيين لا بأس من القيام بتمرين بسيط، وليكن كالآتي:

أولا : لدينا رئيس (عفوا أقصد كان لدينا رئيس) هو الأبشع على مر العصور فقد تفوق على فرعون وهولاكو وهتلر وكل طغاة العالم من أقصاه إلى أقصاه لذا يستحق أن يدخل إلى الموسوعة بوصفه أبشع طاغية جاد به التاريخ .

ثانيا : نحن أول من اخترع الماراثون الكهربائي ، وميزة هذا الماراثون أنه لا يقام مرة كل سنة وإنما مرة كل ساعة أو نصف أو ربع ساعة (حسب فترات انقطاع الكهرباء وساعات اشتغال المولد)، وهو ماراثون منزلي يقوم به رب أو (ربة) المنزل أو أحد الأفراد إذا كان راشدا ، والمسافات هنا غير محددة لأنها تحدد وفقا لموقع المجمدة والثلاجة و(الجينج أوفر) وإذا ما تخيلنا أن تعداد سكان العراق هو خمسة وعشرون مليون نسمة أو أكثر أو أقل فيمكن القول أن ثمة ما يقرب من الخمسة أو الستة ملايين نسمة يزاولون هذا الماراثون طوال ساعات النهار والليل . ويمكن أن يضاف على هامش الأرقام القياسية في مجال الكهرباء ، اننا البلد الوحيد في العالم الذي يمتلك عدداً مهولاً من المولدات التي تبدأ من الـ ١KV ولا تنتهي عند الـ ١٠٠ KV كما يمكن اضافة فقرة أخرى في هذا المجال حيث تفوقنا أيضا بعدد الأسلاك أو الكيبلات (الوايرات) التي تنقل الكهرباء من تلك المولدات الى المنازل والمحال التجارية.

ثالثا : نحن أول بلد نفطي يمتلك ثاني أكبر احتياطي نفطي في العالم وأبناؤه يعانون الجوع والبطالة.

رابعا : لن أشير إلى مسألة تعدد الطوائف والأديان والقوميات ، ولكني الفت عناية الغينيسيين كي ينتبهوا إلى أننا البلد الوحيد في العالم الذي احتمل وجود كل التعدديات بألوانها ولم تحدث فيه حروب أهلية كالتي حدثت في بلاد أخرى أقل تعددية وأقل تعقيدا.

خامسا : نحن البلد الوحيد الذي أريد له أن يكون مركز جذب لكل الشرور في العالم، لكنه بقي وعلى الرغم من كل ذلك محتفظا بهدوئه الجميل (بالنسبة للأغلبية) في انتظار انجلاء الغمة.

سادسا : نحن البلد الوحيد الذي هوجم من قبل أكثر من ثلاثين دولة (عاصفة الصحراء) واستوعب من القنابل ما يفوق بكثير استيعاب هيروشيما وناكزاكي من حيث القوة التدميرية ، ثم حوصر اقتصاديا سنوات طوال من قبل تلك الدول ومن قبل حكومته، فأكل النوى المطحون بدل الخبز، وعانى موظفوه الكفاف من جراء صرف دولارين أو ثلاثة لهم راتباً شهري . ثم قال لنا (القائد الضرورة!) اننا نحن الذين انتصرنا لذا قام هذا (القائد الحكيم!) باستقطاع مبالغ مما بين الجلد والعظم ليتبرع بها لفقراء أمريكا.

سابعا : نحن البلد الأول الذي كان طرفاً في أكبر الحروب وأطولها في التاريخ ، بعد الحربين العالميتين ، إذ امتدت حربنا مع الجارة إيران ثماني سنوات ، ففقدنا فيها نصف مليون مواطن ، واستطاع فيها (القائد الضرورة!) أن يواصل استخفافه بنا حين اكتشف وبعد مرور كل تلك السنوات الطاحنة بأن الأمر كان مجرد فتنة !! ولم يعزل في حينها بل تم تكريمه من قبل قادته العسكريين الجهابذة بالموافقة على احتلال جارتنا الكويت ، وهذه أيضا سابقة إذ لم يتم قبلها احتلال دولة عربية لدولة عربية أخرى.

ثامنا : نحن البلد الوحيد في العالم الذي تشدق بامتلاكه لأسلحة الدمار الشامل ، ونحن أيضا البلد الوحيد في العالم (بعد أمريكا) الذي صدق هذه الكذبة إلى حد إغراء أمريكا باحتلالنا!

ثامنا : نحن البلد الوحيد في العالم الذي تمتد معرفته بكلمة (حرية) إلى ٤٥٠٠ ق م وفقا للحفريات التي اكتشفت هذه الكلمة المقدسة (ماركي) أو (مارجي) وتعني الحرية ، وأيضا وفقا لتحدرنا من صلب حمورابي الذي كان لديه مجلس عموم أو مجلس شعب يفوق المجلس الوطني الصدامي من حيث التحضر بمئات السنين الضوئية ، وعلى الرغم من ذلك رضينا لدكتاتور بدوي أن يحكمنا طوال ثلاثة عقود ونيف ، لذا يمكن وضعنا وفقا لهذا البند في قائمة أكثر الشعوب قدرة على استغفال ذاتها.

تاسعا : وهذه لن أكتبها لأنها تخص طرائق إيروتيكية إبتدعها الأمريكان والبريطانيون تحاشيا للكآبة.

وبعد .. يمكن القول أن هذا العمل برمته قد لا يكتب له النجاح لأن موسوعيي غينس قد يتعرضون للاختطاف بوصفهم أجانب (كفاراً.. على الطريقة اللادنية) أو أنهم سيعانون الإجهاد والتعب لكثرة الأعمال التي تنتظرهم ، لذا أقترح أن يصار إلى إنشاء موسوعة عراقية للأرقام القياسية ، وإذا ما نجح مشروع مثل هذا في المستقبل فلربما يدر علينا أرباحاً مهولة لأن العالم كله ينتظر كتابا مسليا كهذا ليشتريه.

ملاحظة : حقوق استثمار الفكرة مكفولة لكاتب المقال حصرا وليس لأي شخص آخر (تصور).

حرب الجدران تتسع وتنفتح على المستقبل

جدران بغداد اختفت خلف شعارات ولافتات وملصقات مشوهة

- جدران تحولت إلى منابر دعائية وأخرى إلى دواوين شعر وقواميس شتائم

اياد عطية الخالدي

يتندر أحد طلاب كليات الاداب بجامعة بغداد قائلا.. إن قراءة اللافتات تسلية ممتعة، فهنا كل يوم ملصق جديد، وشعار جديد، ونداء جديد.. بوابة جامعتنا وجدرانها صارت سوقاً شعبية لترويج الافكار المستهلكة..

وفي الجامعة المستنصرية التي امتلأت واجهتها بالصور والملصقات.. تحدثت مجموعة من الطلبة الذين اجمعوا على وصفها بالظاهرة غير الحضارية والفوضوية.

يقول الطالب محمد شهاب / طالب ماجستير - قسم اللغة العربية: يعتقد البعض من مسؤولي الاحزاب والحركات، إن الجدار وسيلة فعالة لعرض بضاعتهم وتسويقها إلى الطلبة بهذا الشكل والاسلوب الذي اتصور أنه اسلوب بدائي وغير حضاري..

أما الطالبة سمية فاضل - طالبة في المرحلة الرابعة - قسم اللغة العربية - فقالت: إنه اسلوب يستفز مشاعرنا وهو تشويه لمنظر الجامعة.

شعارات مكررة

طالبة الدكتوراه / قسم اللغة العربية - علياء سعدي قالت: انها شعارات مللنا قراءتها.. وحتى الشعارات التي تبدو جميلة وذات مضمون جيد فإن عرضها بهذه الطريقة المشوهة يشبه إلى حد ما عرض فاكهة لذيذة في سوق غير نظيف. أنا انصحهم - بأن يجدوا طريقة أو وسيلة افضل لعرض خطابهم السياسي.

وتعلق الطالبة نغم سعدون بشيء من الطرافة قائلة: إن الجدار تحول إلى وسيلة جيدة من وسائل رفع المعنويات ومتنفس للافكار والهواجس المكبوتة. نغم تقترح أن يكون هناك جدار خاص لكل حزب يضع عليه شعاراته وبرامجه السياسية ما داموا يعتقدون بان الجدار هو افضل وسائل الدعاية والتعبئة السياسية.. وما دامت كل هذه الصحف غير قادرة على احتواء افكارهم السياسية..

كشافو الجدران الستراتيجية!

العديد من الاحزاب ترسل كشافين ليختاروا لها مجموعة من الاماكن الستراتيجية في العاصمة. خاصة في التقاطعات والشوارع الرئيسة المهمة.

لكن هذه الاماكن شهدت صراعاً بين اطراف حرب الدعاية إذ تحول الصراع السياسي إلى صراع اعلامي.. فهذا يرفع أو يمزق لافتة ذاك.. وهذا يضع صورة أو ملصقا فوق صورة أو ملصق الطرف الآخر مما ولد اصطدامات تطورت إلى استخدام الاسلحة لحل النزاعات بينهم..

وحرص قسم منهم على وضع لافتاته في اماكن عالية حتى لا تطالها يد الخصوم والمنافسين..

ويعلق المواطن جمال الركابي قائلاً: اتصور إنهم على حق في صراعهم حول الاماكن الستراتيجية.. فالجدار وسيلة اعلامية مهمة.. خاصة إذا كتب الاعلان في مكان ستراتيجي فهذا يعني إن الكثير من الناس (سيرغم) على قراءته.

التجار ينافسون السياسيين

لم تكن الجدران حكراً لأهل السياسة فقد انبرى تجار ورجال اعمال ومصالح وشركات ليسهموا في هذه الفوضى الدعائية.. ودخلوا الساحة منافسين اقوياء.

فقد شهدت جدران المدينة حملات دعائية واسعة النطاق للترويج عن بضائع ومنتجات مختلفة...

ومع فوضى الشعارات التي غطت وشوهت جدران المدينة هطلت شعارات شاذة وشتائم وكلام بذيء.

كما وجد بعض هواة الشعر الشعبي الجدران منبراً لايصال نتاجاتهم وما جادت به قرائهم.. واختار احدهم نصباً في علاوي الحلة ليخط عليه معلقته الشعرية الشعبية...

الجدار تحول إلى ساحة مناظرات فكرية وسياسية عبر شعارات ومواعظ ونصائح ونداءات وشتائم مع اختلاف الشعارات وتناقض اهدافها ومعانيها... ولفت انتباهنا بعض الشعارات الطريفة. فعلى منصة تمثال الشاعر الرصافي كتب أحدهم اعلاناً ما نصه... هذا عفو عام عن الهاربين من الرفاق البعثيين - وكتب أحدهم شعاراً يقول - نؤيد ما قاله الأرناؤطي.. من غير أن يقول لنا ماذا قال الارنؤطي.. وشعار آخر يقول - فوت بيها وعالزلم خليها! بعض الشعارات حذرت من الارهاب والارهابيين.. واخرى من الديمقراطية والديمقراطيين بعض فلاسفة الجدار الحر وجد علاجاً لكل مشاكل البلاد واختصرها بشعار جداري - من نوع - الجهاد هو الحل - او الديمقراطية هي الحل...

وهكذا تباينت الشعارات واختلفت المعاني والمضامين والنتيجة واحدة - إذ شوهت جدران المباني.

ولم تنفع محاولات بعض الجهات والدوائر بمكافحة هذه الظاهرة بطلاء الجدران مرة أو مرتين.. فكلما طليت.. عاود الفوضويون كتابة الشعارات.. وملؤها بشعارات جديدة...

الامريكان انزعجوا أيضاً من شعارات الجدران لكن انزعاجهم ليس بسبب تشوه الجدران وإنما لسبب آخر.. فقد تحول الجدار إلى منبر اعلامي يحرض على الارهاب ووسيلة من وسائل التحريض على العنف.

امانة بغداد وهي تستعد لحملة تنظيف كبرى لشوارع واحياء مدينة بغداد ملأت الصحف أخبارها ولم ير المواطن اي اثر من اثارها.

لا نعلم إن كانت ستشمل جدران المدينة بحملتها المفترضة هذه وهل ستضع جمالية جدران المدينة ونظافتها ضمن اهتمامها أم لا.

شعارات الجدران

تعبيراً عن الفوضى وللوقوف على اسباب هذه الظاهرة وابعادها السلوكية والاجتماعية استطلعنا رأي الدكتور عبد الخالق رؤوف استاذ علم النفس في الجامعة المستنصرية.

يقول الدكتور رؤوف: إن اللجوء إلى هذه الطريقة للتعبير عن الرأي أو الفكر تعني إن هناك حالة مربكة للعقل البشري فعشوائية الشعارات وسير اتجاهها وطريقة التعبير عنها.. ينتج عن رد فعل معاكس للهدف أو الغاية التي كتبت أو وضعت من أجله مهما كانت نوعيتها ومضمونها ودلالتها..

فالانسان يتفاعل مع سلوك الآخرين بحسب ايجابيته وسلبيته.. فالشعارات الفوضوية غير المنضبطة، تجد من يتفاعل معها بذات الأسلوب الفوضوي.. وسواء كان هذا التفاعل من خلال التماسك الوجداني أو من خلال ما يقرأ في اللافتة..وأنا لا أرى أن النتيجة التي يراد تحقيقها من وراء الأسلوب الفوضوي ستكون منتجة..وابدى الاستاذ هيثم ضياء التدريسي في قسم علم النفس رأيه بالموضوع قائلاً: الاشخاص الذين يلجأون إلى الجدار أو الاماكن العامة كالحدائق أو الجسور للتعبير عن افكارهم هم في الغالب اناس غير واعين..هذه الافكار قد تجد لهم صدى أو استجابة بحسب بيئة المتلقي ومستواه الثقافي، وقد تحصل استجابة فاعلة ومؤثرة في أوساط اجتماعية غير واعية. وفي حالة العراق فإن مثل هذه الاوساط موجودة وهي واحدة من مخلفات واثار النظام السابق.هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن هناك الكثير من المواطنين سيطلعون عليها. اكثر من اطلاعهم على الصحف والمجلات والنشرات الاخرى واعتقد إن الجدار اصبح منبراً لمن لا منبر له، وهو يمثل وسيلة اعلامية امينة وزهيدة الكلفة.. وهذه الشعارات محكومة بتغير الاوضاع السياسية، لذلك نرى إنها تتغير باستمرار.وعلى اية حال فإن فوضى شعارات الجدران تعبر عن الفوضى التي تسود البلاد بغياب سلطة القانون وتعكس من جانب آخر فوضى في الواقع السياسي والاجتماعي.. وجهلاً في التعبير عن الرأي في اجواء تسمح بحرية التعبير وإن كانت تحت مظلة الاحتلال.